المرقاة
في
نهج السلف سبيل النجاة

تقديم فضيلة الشيخ
محمد إبراهيم شقرة

تأليف
نادر بن سعيد آل مبارك التعمري

دار ابن حزم

كلمة

قال تعالى: ﴿**وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهذا الصِّراط المستقيم الذي وصّانا باتباعه هو الصِّراطُ الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وهو قصْدُ السَّبيل، وما خَرَجَ عنه فهو من السُّبل الجائرة؛ لكنَّ الجوْرَ قد يكون جوراً عظيماً عن الصراط، وقد يكون يسيراً، وبين ذلك مراتبٌ لا يحصيها إلا الله.

فالميزان الذي يُعرَفُ به الاستقامةُ على الطريق، والجَوْرُ عنه هو ما كان رسولُ الله صلوات الله عليه وأصحابُه عليه.

والجائرُ عنه إمّا مفرِّط ظالم، أو مجتهد، أو متأوِّل، أو مقلِّد، أو جاهل.

تقديم فضيلة الشيخ الأستاذ
محمد إبراهيم شقرة

بسم الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.. أما بعد:

فإنَّ رَقْم العلم في الصحائف، وتدوينه في الأوراق، نوع ذِكْر يُبقي في الناس من بعده صاحبَه، فإما أن يكون صالحاً فيُذكر فيهم بلسان الصِّدق، وإما أن يكون غير ذلك، فيُذكر فيهم بغيره، وإني لأرجو أن تكون تلك الرسالة -التي دفعها لي واحد من الأبناء هو: «نادر التعمري»؛ لأقرأها، وأرى فيها رأياً، يبقى محفوظاً فيها- نافعة بمادتها ومحتواها، على نحو ما ينبغي أن يكون العلم الذي يُؤتى من أبوابه، ويُسعى إليه من طرائقه.

ولقد أعجبني في هذه الرسالة أمورٌ لا ينبغي أن

يهدم كلَّ جديد يُراد منه إبراء الذمة ببيان ما قد يطرقه من فساد، بالدخول فيه من لا يعرف من السنة والجماعة إلا عداوة من ينتسب إليه وهم كثيرون جداً، حتى لقد صار حتماً على أهل السنة والجماعة أن يرضوا بالدخول فيه، عن الفرق الاثنتين والسبعين التي حذّر منها رسول الله ﷺ، وصارت غير كافية على الأمة بمروقها من دين الله، وخروجها على أصوله وعقيدته، وعداوتها الظاهرة الجليّة لمن ينتسب إلى السنة والجماعة، فيقال في التعريف بها: «إنها الطائفة اللائذة بالكتاب الكريم، والسنة النبوية الثابتة، التي تبوَّأت منزلتها في تاريخ الأمة بما آل إليها من علم بهما، على نهج القرن الأول الأغر الأزهر -نهج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة الأمناء البرآء-».

وبهذا تعرف الجماعة، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والغرباء، والمصلحون لغيرهم الصالحون في أنفسهم، والقائمون بأمر الله على هدى وبصيرة، إلى غير ذلك من الأوصاف التي كان اختلاف بين أهل

وأخيراً؛ فإنِّي أنصحُ إخواني وأبنائي بقراءة هذه الرِّسالة، والأخذ بالأمريْن اللَّذين نصحتُ كاتبَها بهما؛ فهي نصيحةٌ مخلصةٌ خالصةٌ، نابتةٌ من جريب العمر، وتداول الأيام، والوقوفِ على أبواب جلّة أهل العلم مذ كنتُ يافعاً.

والله مِن وراء القصد، والحمد لله أولاً وآخراً.

عمّان البلقاء — وكتب

١٩ رمضان ١٤١٨هـ — أبو مالك

١٧ كانون ثاني ١٩٩٨م — محمد إبراهيم شقرة

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه.

أما بعدُ: فإنّه لا يخفى على أحد ما أصابنا من ذلّ وفتن، فتنٌ أعمت القلوب، وحيّرت العقول، عَصَفت بها ريحُ البدع والشبهات، والهوى والشهوات، حتى دَرَسَت معالمُ القرآن والسنة في الجنان والأبدان، وكَثُرَ المغترون، وتباهى الزائغون؛ فتُرك الائتلاف، وكان الاختلاف، وهُتكت الحرمات، وانتشرت المنكرات، وخُلعت لبسة الإيمان، واتُّبعت الأهواء، وانتشرت الأقاييس والآراء، وعظُمت البليّة، واشتدَّت الرزيّة؛

ونيلِ رضوانه وجنّاته، فحارَبوا في الله مَن خَرج عن دينه القويم، وصراطه المستقيم؛ الَّذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا أعنَّة الفتنة، وخالفوا الكتاب، واختلفوا في الكتاب، واتّفقوا على مفارقة الكتاب، ونبذوه وراء ظهورهم، وارتَضَوْا غَيره عنه بديلاً»[1].

فمن أجل هذا وذاك حَرصتُ على كتابة هذه الورقاتِ الوجيزة [2] وسمَّيْتُها «**المَرقاة في نَهْج السَّلَف سبيل النَّجاة**»[3].

ولا يفوتني هنا أن أشكر أستاذنا الأديب، وشيخنا الحبيب أبو مالك محمد إبراهيم شقرة، حفظه الله

---

(١) «مفتاح دار السعادة» للإمام ابن القيم، بتحقيق شيخنا علي الحلبي (١/ ١٠٣، ١٠٤).

(٢) مختصرة من كتابي «السَّلَفية منهج الاتباع والطاعة..» يسَّر الله نشره.

(٣) المرقاة: الدرجة الرفيعة.

النَّهج: الطريق الواضح البيِّن.

السبيل: الطريق السّهل الميسَّر.

أهلُ السنّة والجماعة

* **السُّنة:**

① هي كما قال الإمام ابن رجب (ت٧٩٥هـ): «الطريقة المسلوكة، **فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه [النبيُّ ﷺ] وخلفاؤه الراشدون** من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي **السنة الكاملة؛** ولهذا كان السَّلف قديماً لا يطلقون اسم السُّنة إلا على ما يشمل ذلك كلَّه»[1].

قال الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ): «تحصّل منه في الإطلاق أربعة أوجه: قوله عليه الصلاة والسلام، وفعله، وإقراره -وكل ذلك إما متلقًّى بالوحي أو بالاجتهاد، بناءً على صحة الاجتهاد في حقِّه-، وهذه

(١) «جامع العلوم والحِكَم» (٢/ ١١٠).

* **أهل السُّنة:**

(٥) قال الإمام أبو مظفر السَّمعاني (ت٤٨٩هـ): «وشعار أهل السُّنة: اتِّباعُهم للسَّلف الصالح، وترْكُهم كل ما هو مبتدَع مُحدَث»[١].

(٦) وقال ابنُ الجوزي (ت٥٩٧ هـ): «ولا رَيْب أنَّ أهل النقل والأثر المتَّبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهلُ السنة؛ لأنَّهم على تلك الطريق التي لم يُحْدَث فيها حادثٌ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول اللهِ ﷺ وأصحابِه»[٢].

(٧) وقال العلامة عبد الرحمن السّعدي (ت ١٣٧٦هـ): «أهل السنة المحضة: السالمون من البدع، الذين تمسَّكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه»[٣].

---

(١) «الإنتصار لأصحاب الحديث» (ص٣١).

(٢) «تلبيس إبليس» -منتقاه لشيخنا الحلبي- (ص٣٨).

(٣) «الفتاوى السّعدية» (ص٥١).

السَّلَف الصالح والنِّسبة إليهم

*** السَّلف في لسان العرب:**

«كلُّ عمل صالح قدَّمتَه، أو فَرَط فرطَ لك، وكل مَن تقدّمك من آبائك، وقرابتك... ومنه: عبد الرحمن بن عبد الله **السَّلَفي المحدِّث، وآخرون منسوبون إلى السَّلَف**» قاله الفيروز آبادي صاحب «القاموس المحيط» (ص١٠٦٠).

*** السَّلف في اصطلاح علماء الأمّة:**

هم صدر هذه الأمة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى والدِّين ممَّن شُهد له بالإمامة وعُرف عِظَمُ شأنه في الدين، وتلقَّى الناسُ كلامَهم خَلَفٌ عن سَلف دون مَن

يكتبها بخطِّه-: «**نسبةٌ إلى طريق السَّلَف**»[1].

٣- قال الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ):

«**السَّلَفي** -بفتحتَيْن-: وهو مَن كان على مذهب السَّلَف»[2].

فالسَّلَفية ليست بمذهبٍ مُحدَث، أو حزبٍ مخترَع، بل هي امتداد لدعوة نبيِّنا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، ثم الذين يلونهم؛ وهذا ما تُنادي وتدعو إليه الدعوة السَّلَفية؛ كتاب وسنة على فَهْمِ وتطبيق سلف الأمة.

لذا لا يجوز لمسلم أنْ يتبرأ من الانتساب إلى السَّلَف الصالح؛ بل إن الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا عيب على مَن أظهر مذهب السَّلَف، **وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قَبول**

---

(١) «الغاية في شرح الهداية في علم الرواية (لابن الجزري)» للسخاوي (ص٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢١).

أهل الحديث والأثر

قد هيَّأَ اللهُ ــ بمنِّه ــ أهلَ الحديث ليكونوا «أركان الشريعة، وهَدَم بهم كلَّ بدعة شنيعة، فهُم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمَّته، والمجتهدون في حفظ ملّته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحُجَجُهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجعُ إليه، أو تستحسن رأياً تعكفُ عليه، سوى أصحاب الحديث، فإنَّ الكتابَ عُدَّتهم، والسنةَ حجَّتهُم، والرسولَ فئتُهم، [والسَّلَفَ فهْمُهم]، وإليه نسبتهم، لا يُعرِّجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يُقبَلُ منهم ما رَوَوا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظةُ الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، إذا اختُلِف في حديث كان إليهم

والبحثُ عنهما وعن معانيهما والعملُ بما عَلِموه من موجبهما»[1].

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

«وأما فقهاء أهل الحديث العامِلُون به، فإنَّ معظمَ همِّهمُ البحثُ عن معاني كتاب الله عز وجل، وما يُفسِّرُهُ من السُّنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سُنَّة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقُّه فيها وتفهُّمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريقة الإمام أحمد ومَنْ وافقه من علماء الحديث الربَّانيين، وفي معرفة هذا شغلٌ شاغلٌ عن التَّشاغُل بما أُحدثَ من الرأي ممَّا لا يُنتفع به، ولا يقع، وإنما يُورثُ التجادلُ فيه كثرة الخصومات والجدالَ وكثرة القيل والقال؛ وكان الإمام أحمد كثيراً إذا سُئِلَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٥).

يكون سلوكُ هذا الطريق خلف أئمة أهله المجمَع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعي وأحمد وإسحق وأبي عُبيد ومن سلك مسلَكهم، فإنَّ مَنِ ادعى سلوكَ هذا الطريق على غير طريقهم، وقع في مفاوزَ ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذُ به، وترك ما يجب العملُ به.

وملاك الأمرِ كلِّه أن يقصِدَ بذلك وجهَ الله، والتقرُّبَ إليه، بمعرفة ما أنزله على رسوله، وسلوكِ طَريقه، والعمل بذلك، ودعاء الخلق إليه، ومَنْ كانَ كذلك، وفَّقه الله وسدَّده، وألهمه رشده، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وكان من العلماء الممدوحين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عبادِهِ العُلماءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، ومن الراسخين في العلم[1]».

*** وجهُ تسميتهم بأهل الحديث:**

«إذ اسمهم مأخوذٌ مِن معاني الكتاب والسنة يشتمل عليهما؛ لتحققهم بهما، أو لاختصاصهم

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٤١ـ ٢٤٣).

الهادية، والجماعة العادلة المتمسِّكة بالسُّنة التي لا تريد برسول الله ﷺ بديلاً، ولا عن قوله تبديلاً، ولا عن سنته تحويلاً، ولا يثنيهم عنها تقلّب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحَدَثان، ولا يصْرفهم عن سمتها ابتداعُ مَن كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله، ويبغيها عوجاً، ويصدف عن طرقها جدلاً ولجاجاً ظناً منه كاذباً وتمنياً باطلاً: أنّه يُطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون»[1].

وما أحسن قول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين قال:

«وبهذا يتبيّن أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها، واتباعاً لها: تصديقاً، وعملاً، وحباً، وموالاةً لمن

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٤ ـ ٢٦).

مِن أدلة الكتاب العزيز على اتِّباع السَّلَف

١- قال تعالى: ﴿ **وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

«ولا شكَّ ولا ريب أن السلوك على الصراط المستقيم يتطلب معرفة هذا الصراط المستقيم معرفة صحيحة، ولا يكون ذلك بمجرد التكتل والتحزب الأعمى على كلمة الإسلام الحق لكنهم لا يفقهون من الإسلام إلا شيئاً قليلاً، فلا يكون التحزب الصحيح الفالح إلا بمعرفة هذا الإسلام كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلب محمد ﷺ.

لهذا كان من علامة الفرقة الناجية التي صرّح النبي ﷺ بها حينما سُئِلَ عنها فقال: «هي ما أنا عليه

ﷺ في هديه وسنته، ويتبع الصحابة فيما اختلف فيه الناس، وتشابه عليهم؛ لأنَّهم المبرَّؤون من الانحراف القائمون المستقيمون على سنة رسول الله ﷺ»[1].

لهذا قال عنهم الإمام الشاطبي في كتابه العُجاب «الموافقات» (٣/ ٢٨٤): «إذ المتقدِّمون من السَّلَف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم».

* * *

٢- قال تعالى: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإنْ تولَّوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾ [البقرة: ١٣٧].

قلتُ: وقد جعل الله سبحانه مناط الهداية والنجاة من عصيان الله وحربه إيماناً كإيمان الصحابة رضوان الله عليهم من كل وجه، فلا يكفي أصل الإيمان لمن تبيّن له الهدى، فعدّى سبحانه ذلك بالباء فقال: «بمثل»؛ فإن

(١) «البيِّنات السَّلَفية على أن أقوال الصحابة حُجة شرعية...» للشيخ أحمد سلام (ص٧٨، ٧٩).

الإشكال، فجاوبهم عليه السلام بأحسن جواب، وبيَّن لهم بأتم تبيان؛ فسمعوا، وفَهموا، وعَملوا، وأحسنوا، وحَفظوا، وضبطوا، ونقلوا، وصَدَقوا؛ فلَهُم الفضل العظيم علينا؛ إذ بهم وُصِلَ حَبْلُنا بحَبْل سيدنا محمد ﷺ وبحبل مولانا جل جلاله...»[1].

فكان سندهم فيما تلقوه من مشكاة النّبوة عن نبيِّهم ﷺ عن جبريل عن ربِّ العالمين سنداً صحيحاً عالياً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «فإنهما [أي: مشاققة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين] متلازمان؛ فكل من شاقَّ الرسول من بعد ما تبّين له الهدى؛ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل مَن اتبع غير سبيل المؤمنين؛ فقد شاق الرسول من بعد ما تبّين له الهدى»[2].

قلتُ: وكلّ مَن شاقَّ الرسول فقد شاقَّ الله،

---

(١) «بهجة النفوس» (١/ ٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨) بزيادة ما بين المعقوفتين.

من أدلة السُّنة المطهَّرة على اتباع السَّلَف

١- قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين، تمسَّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسُّنة: هي ما تلقَّاه الصحابةُ عن رسول الله ﷺ، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم إلى يوم القيامة، وإن كان بعض الأئمة أعلم وعليها أصبر، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم»[٢] اهـ.

وقال الإمام الشاطبي: «فقَرَن عليه السلام -كما ترى- سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأنَّ من اتباع سنته

(١) صحّحه المحدث الألباني في «إرواء الغليل» (رقم٢٤٥٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٨).

جاء عن أصحابه فإنه سنة، وقلتُ أنا: ليس بسنة، ولا نكتبه، قال: فكتبه الزهري ولم أكتبه، فأنْجَحَ وضيّعتُ».

فانظر كيف عدَّ الزهري هدي الصحابة مِن سنة المصطفى ﷺ؟!

ثم هنا لفتة لطيفة؛ فهذا صالح بن كيسان الثقة الثبت الفقيه، فاته مجرد كتابة آثار الصحابة الكرام لا منهجهم! يقول: «ضيَّعتُ»!!

فبالله عليكم كيف بمَن أهْدر فهْمَهم رضي الله عنهم، وعَدَل عن سبيلهم؟! والله المستعان!

* * *

٢- قال ﷺ في مرض موته لابنته فاطمة ــ رضي الله عنها -: «فاتقي الله واصبري، فإنّه نِعْمَ السَّلَفُ أنا لك»[1].

(١) رواه مسلم (رقم٢٤٥٠) (٩٨).

هي قوله ﷺ: «اتقي الله» مُذَكّراً ابنته بتقوى الله -بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه-، ثم قال: «واصبري» أي: على معرفة المأمور فتمتثليه، وعلى معرفة المحظور فتجتنبيه.

لكن من أين لها ــ رضي الله عنها ــ أن تعرفَ ذلك، وتدور معه أمراً ونهياً، وامتثالاً واجتناباً؟

إنه القول النبوي يُعزِّزُ الوصية بياناً وشفاءً، وإرشاداً أبد الدهر باقياً، جاء مُبيِّناً نهج التلقي ومصدره ﷺ: «نعْم السَّلَف أنا لك»؛ فكوني يا فاطمة سَلَفيةً أثريةً؛ سَلَفيةً في اتباع سلفك ــ والدك ــ مُحمدٍ ﷺ، وأثريةً تسيرين على أثَرِه، آخذةً بسنَّته، ومتقيدةً بأمره.

فما أحوجنا ــ عباد الله ــ إلي هذه الوصية؛ فاغتنموها وكونوا سلفيين ربانيين، وبالسُّنة المحُمَّديَّة آخذين، وبأمره متقيِّدين، واحذروا أن تفعلوا ما لا تؤمرون، وأن تقولوا ما لا تفعلون.

ولنا هنا وقفات وتنبيهات:

أولاً: «من المعلوم أن ليس المراد (من الفرقة الناجية) أن لا يقع منهم أدنى اختلاف، فإنَّ ذلك قد كان في فضلاء الصحابة، إنما الكلام في مخالفة تُصيِّر صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها، وإذا حقَّقتَ ذلكَ فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل، وفيما يترتب عليه عظام المفاسد لا يكاد ينحصر، ولكنها لم تخص معيناً من هذه الفرق التي قد تحزَّبت، والتأم بعضُهم إلى قوم...»[1].

ثانياً: قال الإمام الشاطبي في كتابه العظيم «الاعتصام» (٢/ ٧٠٨، ٧٠٩)[2]:

«وأما على رواية مَن قال في حديثه: «كلها في النار إلا واحدة»؛ فإنما يقتضي إنفاذَ الوعيد ظاهراً، **ويبقى الخلودُ وعدَمُه مسكوتاً عنه**، فلا دليل فيه على

= فَهْم أحاديث افتراق هذه الأمة» له -سدَّده الله- (ص٢٤).

(١) «العَلَم الشامخ» لصالح المقبلي (ص٥١٣).

(٢) انظر لزاماً: (٢/ ٧٥٢ ـ ٧٥٥) منه.

الآيات ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شِيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿**إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء**﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على التفرق الذي صاروا به شيعاً، ومعنى «صاروا شيعاً»، أي: **جماعات بعضُهم قد فارق بعض**، ليسوا على تألُّف ولا تعاضد وتناصر، بل على ضد ذلك؛ فإن الإسلام واحد، وأمره واحد، فاقتضى أن يكون حُكمه على الائتلاف التامّ لا على الاختلاف.

[خامساً]: وهذه الفُرقة مُشعرة بتفرّق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء؛ ولذلك قال: ﴿**واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فبيّن أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلّق **بمعنى واحد** [وهو التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام كما في الحديث، وكما سَبَق ذكْره ويلحق]، وأما إذا تعلق كل شيعة بحبلٍ غير ما تعلّقت

ولا مصداق لذلك إلا طريقة الأئمة المُحدِّثين السابقين، وأصحاب الأمهات السِّت، ومَن حذا حذْوَهم في التقوى وإصلاح الدين »[1].

وقال الإمام أحمد الدهلوي:

«والحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ قد نصَّ فيه ﷺ بقيد (اليوم) على أن المُعتَبر من شرائع الدين ما كان في زمن النبي ﷺ إلى حياته عليه الصلاة والسلام، ولم تحدُث فيه هذه البدع والأهواء من المذاهب، ولم يكن فيه مذهب من المذاهب الرَّائجة إلا مذهب الرسول عليه الصلاة والسلام الخالص، ولم توجد فرقة على ظهر الأرض تحت أديم السماء كانت صفتها على ما وصفه رسول الله ﷺ إلا طائفة أهل الحديث قديماً وحديثاً في كلِّ زمان ومكان، **وليس لهم الانتساب إلا إلى حديث رسول الله** ﷺ، وليس لهم تقليد الرجال إلا اتباع النبي ﷺ، **وليس لهم مذهب إلا مذهب رسول الله** ﷺ.

(١) «الدين الخالص» للعلامة صديق حسن خان (٣/ ٤٤).

المذكور [عَلِمْت] أنَّه عَلَم من أعلام النبوة، يوجد فيه تعيين الفرقة الناجية؛ قد عيّنها الصادق المصدوق ﷺ لأصحابه حينما سألوه عن الفرقة الناجية، فقال قولاً جلياً لا غموض عليه يحتاج إلى تأويل وتحريف: أن الفرقة الناجية هي ما أنا عليه وأصحابي؛ فدلَّ قيد (اليوم) أن المعتبر من شرائع الدين المتين ما كان في حياته ﷺ؛ لأنَّ بعده اختلف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أيضاً في مواضع، فضلاً عن اختلاف غيرهم، **فصار تعيينُ الفرقة الناجية على لسان رسوله المرسَل ﷺ تعييناً واضحاً جليّاً تسقط معه كلُّ شبهةٍ وشكٍ، وَوَهَمٍ واحتمالٍ**»[1].

❐ ❐ ❐

(١) «تاريخ أهل الحديث» (ص ١١٨، ١١٩).

علم بقلة التكلُّف»[1] اهـ.

وقال الإمام ابن القيم: « ومن المحال أنْ يحْرِمَ الله أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدْياً: الصواب في[فَهْم] أحكامه، ويُوفِّق له مَن بعدهم»[2] اهـ.

ثم ها هو ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يأمرنا باتباع صحابة نبيِّه ﷺ في آثارهم وفهْمهم و... بقوله: « واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

ونبيُّنا ﷺ قال: « تمسّكوا بعهد ابن أم عبد»[3] يعني: ابن مسعود.

---

(١) «منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ٧٩).

(٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٤/ ١٧٥)، وما بين معقوفتين زيادة مني.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٥، ٤٠٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٢٢٤). انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٢٣٣ ــ ٢٣٥).

فإنها بدعة»[1].

* * *

٤- قال الإمام **مالك** (ت١٧٩هـ): «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها»[2] [أي: السَّلَف الصالح].

* * *

٥- قال الإمام **الشافعي** (ت٢٠٤هـ): «البدعة: ما خالف كتاباً أو سنةً أو أثراً عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ»؛ فجعل ما خالف قول الصحابي بدعة[3].

* * *

٦- قال الإمام **أحمد بن حنبل** (ت ٢٤١هـ): «أصول السنة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب

---

(١) «صون المنطق» للسيوطي (٣٢٢).

(٢) نسبة هذا القول إلى الإمام مالك عند أهل العلم مشهور.

(٣) «إعلام الموقعين» (١/ ١١٩).

الواضح والمنار المستنير. . .» [1] اهـ.

* * *

٨- قال الإمام **الشاطبي** (ت٧٩٠هـ): «كل ما جاء مخالفاً لما عليه السَّلف الصالح؛ فهو الضلال بعينه»[2].

❐ ❐ ❐

(١) «شرح السنة» (ص١٠٥، ١٠٦).

(٢) «الموافقات» (٣/ ٢٨٤).

الثلاثة-: بإفراده في كل ما يختص به من ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

الثاني: توحيد رسول الله ﷺ بإفراده في اتباعه من دون البشر، وبتصديقه فيما أخبر، وامتثال ما به أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر.

الثالث: إفراد صحابة رسول الله ﷺ وسَلَف الأمة في فَهْم نصوص الوحْيَيْن -الكتاب والسنة-.

وهذه الاتجاهات الثلاثة هي **أركان الدعوة السلفية وأصولها**، فتدبَّر هذا -أخي القارئ- والزمه فلن تظفر به في غير هذا المنهج ففيه الخير لك في دنياك وأخراك إن شاء الله سبحانه؛ فاحرص على إحسان إسلامك بحُسن سلفيَّتك لتظفر بعشر حسنات لكل حسنة إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء؛ اللهم لا تحرمنا أجر السلفية ولا تفتنا بغيرها؛ آمين!

* * *

٢- قال ﷺ: « خَصلتان لا تجتمعان في منافق:

ابن مسعود رضي الله عنه ــ: « قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائدٌ للعمل، اعلموا أن حسن الهَدْي -في آخر الزمان- خير من بعض العمل»[1].

وكيف بك -أخي المسلم- إذا علمت أن نبيك محمد ﷺ يقول: «الهَدْي الصالح، والسَّمت الصالح، والاقتصاد؛ جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»[2].

ولزيادة بيان أهمية الدل والسَّمت الصالح لنقرأ معاً كلام الإمام ابن القيم إذ يقول:

---

(١) «صحيح الأدب المفرد للبخاري» للألباني (رقم ٦٠٥/ ٧٨٩).

(٢) حسنّه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٦٠٧/ ٧٩١).

قلتُ: وفي الحديث رَدٌّ بيّنٌ ظاهرٌ على من عدّ السمتَ الصالح وزيّ الإسلام راجع إلى الأعراف ومجاراة العادات -ولو كانت كافرة- لمصلحة الدعوة!!

فالأول: من جهة الشبهات، **والثاني**: من جهة الشهوات؛ ولهذا كان السلف يقولون: «احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فَتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبتْهُ دنياه».

وكانوا يقولون: «**احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل**»؛ فإن فتنتهما فتنة لكلِّ مفتون، فهذا يُشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق، ويعملون بخلافه، وهذا يُشبه الضَّالين الذين يعملون بغير علم.

وفي صفة الإمام أحمد -رحمه الله-: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته البدع؛ فنفاها، والدنيا؛ فأباها، وهذه حال أئمة المتقين الذين وَصَفهم الله في كتابه بقوله: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ [السجدة: ٢٤]، فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تُدفع الشبهات كما قال تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ٣]»[1].

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٨٤).

الفقه بين «السَّلَفيَّة» و «المذهبيَّة»

وهنا مسائل:

المسألة الأولى: إنّ «التعصب المذهبي هو الذي نحاربه ونكرهه [بل نحرمه]، آخذين [ذلك] من الأئمة أنفسهم[1] [من بعد كتاب ربنا وسنة رسولنا ﷺ]، ونرى أنه لا بد للوصول بالفقه إلى الوضع المثالي الذي كان عليه السلف الصالح من المرور بمرحلة انتقال نُحبِّب إلى طلاب العلم فيها دراسة الكتاب والسنة، وترجيح ما يحكمان برجحانه، وتضعيف ما يحكمان بضعفه، دون تعصب لمذهب [إلا الحديث، والحديث فقط]، وبهذا نصل إلى تقارب المذاهب

(١) انظر أقوالهم في مقدمة كتاب العلامة الألباني «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٤٥ فما بعدها).

المسألة الثانية: يخلط كثير من الأغمار بين الأئمة الأربعة والمذاهب الأربعة، والفرق ظاهر إذ دخل في المذاهب مقالات بعيدة عن أقوال الأئمة -رحمهم الله-، فليس كل ما يُنسَب للمذاهب يكون من الأئمة كما ليس كل ما يُنسَب للنبي ﷺ يكون قد قاله.

* * *

* فرع:

«ومِن باب التقليد دخل أكثر البدع والخرافات في الدين، التي يحتج علماء الرسوم الجامدون بذكرها في كتب مذهبهم على شرعيَّتها، ناسبين إلى أئمتهم ما فيها ـ قارئيها على تلامذتهم ـ قائلين: إنها فقه الأئمة الأربعة رحمهم الله جميعاً!!

حاشا وكلاّ! ليس هذا الفقه للأئمة الأربعة أصلاً، وليس كل ما يُنسب إليهم، ويُنقل في كتب مذهبهم هو ثابت النِّسبة إليهم، بل أكثر تلك ـ أو كلّه ـ مما ارتكبه مَن غَلَب عليه الرأي مِن أتباعهم.

فـيـه دليلُ الأخـذ بالحـديث

وذاك في القــديم والحــديث

قـال أبو حنيفـة الإمـام. . .

لا ينبـــغي لمن له إســـلام

أخْـذٌ بأقـوالي حـتى تُعْـرضـا

على الكتاب والحديث المرتضى

ومـالك إمـامُ دار الهـجـرة

قال: وقد أشَارَ نَحْوَ الحجرة

كل كـلام منه ذو قَـبـول

ومنه مـردودٌ سـوى الرسـول

والشـافـعيُّ قـال: إن رأيتُمُ

قـولي مـخـالفـاً لما رويتُمُ

أقولُ هذا الكلام لهذه المناسبة العابرة، وسيظل المسلمون يركلون بالأقدام، ويُصفعون بالأيدي من غيرهم ما لم يرجعوا إلى النبع الصافي، الكتاب والسنة بفَهْم السَّلَف الصالح. . .»[1] اهـ.

❐ ❐ ❐

(١) «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود» لأبي إسحاق الحويني (١/ ٢٨٠، ٢٨١) مختصراً.

٦- «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة» للإمام المعصومي، ت: الشيخ سليم الهلالي.

٧- «البدعة وأثرها السَّيء في المجتمع» للشيخ سليم الهلالي.

٨- «اللُّمع في الرد على مُحسِّني البدع» للشيخ عبد القيوم السحيباني.

٩- «وصايا السلف بالتحذير من أهل البدع» للشيخ عبد الرحمن بن يوسف.

١٠- «التحذير من فتنة التكفير» للشيخ علي الحلبي.

١١- «السَّلَفية منهج الاتباع والطاعة منذ فجر الإسلام إلى قيام السّاعة» لراقم هذه الحروف.

❐ ❐ ❐

لم يمل عن الصراط قيد شبر فقد جهلت، وإن قلتَ: بعضُهم مقارب وبعضُهم أبعد؛ فقد صدقت، ولكن لا تدري مقدار القرب والبعد عند ربك، وإن السلامة لزوم وصية ربك، وهذا منّا لما قال سبحانه: ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ ونسأله الهداية والتوفيق، آمين»[1].

وأخيراً: فيا طالب النجاة! بارَكَ الله فيك؛ «اطلب العلم، واطلب العمل، وادْعُ إلى الله تعالى على طريقة السَّلَف.

ولا تكن خرَّاجاً ولاجاً في الجماعات، فتخرُج من السَّعَة إلى القوالب الضيِّقة، فالإسلام كلّه لك جادَّةً ومنهجاً، والمسلمون جميعُهم هم الجماعة، وإنَّ يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

وأُعيذُك بالله أن تتصدَّع، فتكون نهَّاباً بين الفِرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، تعقِدُ

(١) «العلم الشامخ» (٥٢٠).

سائلاً ربِّي أن يجعل هذه «المرقاة» خالصةً لوجهه الكريم، وذخراً لي ولوالدَيْ ولمشايخي ولأخوتي إلى يوم الدِّين ، آمين.

وصلّى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❐ ❐ ❐

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الموضوع	الصفحة

* السلف الصالح والنسبة إليهم..... ٢١
- السَّلف في لسان العرب..... ٢١
- السَّلف في اصطلاح علماء الأمة..... ٢١
- إمام السَّلَف ٢٢
-ما يطلق على متَّبع السَّلَف..... ٢٢
* أهل الحديث والأثر. ٢٥
- مَن أهل الحديث؟..... ٢٦
- وجه تسميته بأهل الحديث..... ٢٩
* من أدلة الكتاب العزيز على اتباع السَّلَف.. ٣٣
* من أدلة السُّنة المطهرة على اتباع السَّلَف .. ٣٩
* من أقوال الأئمة على اتباع سلف الأمّة... ٥٢
- ابن مسعود رضي الله عنه..... ٥٢

الموضوع	الصفحة

- المسألة الثانية..... ٦٧
- فرع..... ٦٧
- المسألة الثالثة..... ٦٨

* كتب ينصح بقراءتها..... ٧٢
* الخاتمة نسأل الله حسنها وزيادة ٧٤
* فهرس المحتويات ٧٨

❐ ❐ ❐